ليست مخلوقة ولاهي من العالم الذي فيه الكلام وان اريد بالشعاع ماينعكس على
الارض فذلك لابد فيه من شيئين وهو الشمس التي تجري مجرى الاب الفاعل والارض
التي تجري مجرى الام القابلة وهي الصاحبة للشمس وكذلك الصوت لايتولد الا عن
جسمين يقرع أحدهما الاخر أو يقلع عنه فيتولد الصوت الموجود في اجسام العالم عن
اصلين يقرع أحدهما الاخر او يقلع عنه فهما احتجوا به من القياس فالذي جاء الله به هو
الحق واحسن تفسيرا أحسن بيانا وايضاحا للحق وكشفا له وايضا فجعلها علة تامة
لما يحبها ومزكية له وموجبة له حتى يجعلونها ايادئا ويجعلونها لنا كالاباء والامهات
وربما جعلوا العقل هو الاب والنفس هي الام وربما قال بعضهم الوالدان العقل والطبيعة
كما قال صاحب الفصوص في قول نوح (اغفر لي ولوالدي) أي من كنت نتيجة عنهما وهما
العقل والطبيعة وحتى يسموها الأرباب والآلهة الصغرى ويعبدوها كفرا مخالفا
لما جاءت به الرسل وبهذا وصف بعض السلف الصابئة بأنهم يعبدون الملائكة
وكذلك في الكتب المعربة عن قدمائهم أنهم كانوا يسمونها الآلهة والأرباب الصغرى
كما كانوا يعبدون الكواكب ايضا والقرآن ينفي أن تكون أربابا أو تكون آلهة وتكون
لها غير ما الرسول الذي لاينفعل الابعد أمر مرسله ولا ينفع الا بعد ان يؤذن له
في الشفاعة وقد رد الله ذلك على من زعمه من العرب والروم وغيرهم من الامم فقال
تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون) وقال تعالى (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)
وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير) وقد تقدم بعض الاحاديث في صعق الملائكة اذا قضى الله
الأمر الكوني أو الوحي الديني وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم

شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (بل عباد مكرمون)
الآية وقال تعالى (وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين
ذلك وما كان ربك نسيا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان
محذورا) الآية نزلت في الذين يدعون الملائكة والنبيين واستقصاء القول
في ذلك ليس هذا موضعه. فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم
فالكلم التي في القرآن جامعة محيطة كلية عامة لما كان متفرقا منتشرا في كلام غيره ثم الله
يسمي كل شيء بما يدل على صفته المناسبة لحكم المذكور المبين وما يبين وجه دلالته وبأن
تنزيهه نفسه عن الولد والولادة واتخاذ الولد اعم واقوم من نفيه بلفظ العلة فان
العلة اصلها هو التغير كالمرض الذي يحيل البدن عن صحته والعليل ضد الصحيح وقد
قيل انه لا يقال معلول الا في الشرب يقال شرب الماء فعلّ بعد نهل وعلالته اذا سقيته
مرة ثانية واما استعمال اسم العلة في الموجب للشيء او المقتضي له فهو من عرف أهل الكلام
وهي وان كان بينها وبين العلة اللغوية مناسبة من جهة التغير فالمناسبة في لفظ التولد
اظهر ولهذا كان في الخطاب أشهر يقول الناس هذا الامر تولد عنه كذا وهذا تولد
كذا وقد تولد عن ذلك الامر كيت وكيت لكل سبب اقتضى مسببا من الاقوال
والاعمال حتى اهل الطبائع يقولون الاركان والمولدات يريدون ما يتولد عن الاصول
الاربعة التراب والماء والهواء والنار من معدن ونبات وحيوان. فنفيه سبحانه
عن نفسه أن يلد شيئا اقتضى الا يتولد عنه شيء ونفيه أن يتخذ ولدا يقتضي انه
لم يفعل ذلك بشيء من خلقه على سبيل التكريم وان العباد لا يصلحون ان يتخذ شيئا
منهم بمنزلة الولد وهذا يبطل قول من يدعي مثل ذلك في المسيح وغيره ومن يقول نحن ابناء الله
ومن يقول الفلسفة هي التشبه بالاله فان الولد يكون من جنس والده ويكون نظيرا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)